الفصل الرابع
عُمان

تقع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية، يحدها من الشرق خليج عمان، ومن الشمال اتحاد الإمارات العربية، ومن الغرب المملكة العربية السعودية ومن الجنوب المملكة واليمن الجنوبي.

اعتنق عرب عمان الإسلام في أعقاب ظهور الدعوة الإسلامية، واتصف إقليم عمان بنزعته القبلية، ومن الملاحظ أن عرب الجنوب كانوا هم أول الوافدين على عمان واستمروا يقومون بالسلطة في ذلك الإقليم، ولكن بمرور الزمن أخذت عناصر الشمال تفد إلى عمان، واختلط العنصران عن طريق التزاوج، وإن وقفت العصبية مع ذلك حائلاً دون قيام اتحاد تام بين هذين العنصرين، كان من نتيجتها أن بات كل عنصر يتطلع إلى السيطرة على العنصر الآخر، ولا شك أن طابع ذلك التنافس هو من أهم السمات المميزة لتاريخ عمان القديم والحديث[1].

ويعد إقليم عمان أهم المعاقل الإباضية إذ يعتنق المذهب الإباضي معظم سكان هذا الإقليم وبخاصة الذين في الداخل، واشتهرت هذه المنطقة منذ القرن الأول الهجري بأنها مركز اضطراب دائم، فقد استقر بها الخوارج الإباضيون الذي قاموا بثورات عدة على الخلفاء الأمويين والعباسيين، ونهج بنو جلندي بزعامة جلندي بن سعود الأزدي في تزعم حركة انفصالية بدأت عام ١٣٧هـ/ ٧٥٤م. وحكم عمان من هذه السلالة تسعة وعشرون إماماً إباضياً، كان آخرَهم أبو جاد موسى بن موسى المتوفى عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م

(١) أحمد قاسم البوريني: الإمارات السبع على الساحل الأخضر، بيروت ١٩٥٧م، ص٩٧-١٠٢

ولكن حكمهم لم يكن مستقراً، فقد تعرضوا لحملات عديدة أرسلها الخلفاء وبنو بويه. وخضعت البلاد للقرامطة أكثر من نصف قرن (٣١٧هـ-٣٧٥هـ)/ ٩٢٩-٩٨٥م. وحكم عمان بعد ذلك بنو نبهان ولقبوا بالملوك (٥٧٩هـ-٨٠٩هـ)/ ١١٨٢- ١٤١٩م، وقد قامت ثورات كثيرة ضد البنهانيين لما كان يتصف به حكمهم من ظلم وجور، وأسفرت تلك الجهود عن القضاء على ملكهم، ثم بعث الإمامة الإباضية (والأزد) من جديد في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م[١].

وفي خلال حكم الأئمة الأزديين تعرضت عمان للغزو البرتغالي في عهد بركات بن محمد بن إسماعيل ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م، فقد وصل البرتغاليون إلى مياه الخليج العربي في وقت خضعت فيه سواحل عمان لحكم ملك هرمز الذي أقام حصوناً قوية في مسقط وغيرها من مدن الساحل العماني، وتعرض ميناء رأس الحد ٩١٢هـ (١٥٠٦م) لقصف الأسطول البرتغالي الذي دمر المدينة والسفن الراسية في الميناء. وتعرضت لمثل ذلك في العام نفسه موانئ مسقط، وصحار، وخورفكان، وهرمز نفسها، واستقر البرتغاليون في هرمز وبنوا فيها حصناً وخضع لهم ملكها، ولكنهم غادروها وهجروا حصنهم فيها بعد عامين.

وتنازع البرتغاليون والفرس والعثمانيون السيادة على مياه الخليج طوال القرن العاشر، ونجح شاه فارس في حمل ملك هرمز على تقديم ولائه له بعد جلاء البرتغاليين عن هرمز. وفشلت محاولة برتغالية لاستعادة هرمز ٩٢٠هـ (١٥١٤م) فقاد (البوكيرك) نفسه أسطولاً في العام التالي وتمكن من

(١) Miles. col. S.B.: The countries and the tribes of the Persian Gulf 2vols. (London 1919) pp. 157-158, 163.

إخضاعها، واعترف الشاه بالسيادة البرتغالية على هرمز مقابل وعد برتغالي بمساعدته ضد العثمانيين. وما لبث (البوكيرك) أن عاد مريضاً إلى الهند وتوفي آخر العام بعد أن حكم في الهند مدة، وخلفه (داميدا) الذي قاد الأسطول البرتغالي في المياه الشرقية أكثر من عشرة أعوام. وشدد البرتغاليون قبضتهم على هرمز فسيطروا على جماركها عام ٩٢٨هـ (١٥٢٢م) وقمعوا بشدة ثورات هرمز، ومسقط، وصحار والبحرين. ونصبوا محمود شاه ملكاً على هرمز وسنه لا تتجاوز الثالثة عشرة، وأجبروا أباه على الفرار. ووقَّع محمود في رمضان ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) معاهدة تسلم البرتغاليون بموجبها مقاليد الأمور في هرمز، وفرضوا على ملك هرمز شروطاً جديدة عام ٩٢٩هـ[1] واستولى البرتغاليون كذلك على بعض الموانئ في شرقي إفريقية.

وازداد نشاط العثمانيين في مياه الخليج وقاموا بمحاولات عدة للقضاء على النفوذ البرتغالي مكرسين موارد مصرَ لهذا الهدف، فقد وصل أسطول عثماني إلى الخليج عام ٩٣٥هـ (١٥٢٩م)، ولكن لم يلق ترحيباً فخسر الجولة بسبب عدم وجود قاعدة له في الخليج. ولم يكن العراق قد أصبح عثمانياً بعد. ووجد العثمانيون أنفسهم بحاجة إلى العراق وإلى ميناء البصرة كقاعدة لدفع الخطر البرتغالي، فاحتل العثمانيون العراق باستثناء البصرة التي احتلوها عام ٩٥٣هـ(١٥٤٦م) وبدأوا بإعداد دار لصناعة السفن فيها. وخضع عرب القطيف للعثمانيين وسلموا إليهم حصناً فانتقم البرتغاليون من المدينة ودمروا الحصن عام ٩٥٨هـ (١٥٥١م) وفشلت محاولة بيري بك عام

(١) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي. ج، بيروت، دار الفكر، ٣٥٦ ط ١٩٧٥م.

٩٥٩هـ (١٥٥٢م) في احتلال هرمز ولكنها استولت على مسقط. وعهد بقيادة أسطول البصرة إلى حاكم القطيف مراد بك فلم يستطع تحقيق شيء وفشل في إنجاد مسقط التي استعادها البرتغاليون[١].

وأعد العثمانيون أسطولاً رابعاً في السويس عهدوا بقيادته إلى سيدي (علي رئيس) أحد مساعدي خير الدين بربروسا وسنان باشا. وأسند إلى سيدي علي قيادة أسطولي البصرة والسويس العثمانيين عام ٩٦٠هـ (١٥٥٣م) فتوجه إلى البصرة أواخر ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م، وكان همه الأول إعداد سفنه بحيث تصبح صالحة لخوض معارك حربية. وأقلع الأسطول العثماني من ميناء البصرة إلى القطيف ثم إلى البحرين. وكانت البحرين عثمانية يحكمها آنذاك مراد رئيس، وعادت طلائعه تخبره بأن لا أثر للأسطول البرتغالي. ودام القتال طوال النهار وانسحب البرتغاليون في الليل. واستمر الأسطول العثماني في سيره محاذياً ساحل عمان فالتقى مرة أخرى بالأسطول البرتغالي المتمركز في مسقط، ولحقت بالأسطول العثماني إصابات بليغة حتى اضطر قائد الأسطول إلى نصب الشراع تمهيداً للانسحاب. ودفعته الريح باتجاه شمالي شرقي فوصل إلى ميناء بندر شاهبور الفارسي فتزودوا منها بالماء[٢].

ثم اتجه مرة أخرى إلى اليمن فقارب ظفار ثم قذفته الريح مرة أخرى إلى ساحل الهند، فإذا هو أمام (ديو) البرتغالية فسارع إلى تغيير اتجاهه حتى وصل إلى الكجرات والتجأ إلى ميناء (سورات). وبادر الملاحون والجنود العثمانيون إلى هجر سفنهم والعودة إلى بلادهم، أما سيدي علي فقد باع

(١) عباس العزاوي: عشائر العراق، ج، بغداد ١٩٥٦ ص ٦٨-٧١.
(٢) المصدر السابق، ص٧١-٧٨.

سفنه وعاد براً حاملاً إلى السلطان ثمن أسطوله[١].

وضعفت القوة البحرية البرتغالية والعثمانية في البحار الشرقية أواخر القرن العاشر (السادس عشر الميلادي) فلم يقم العثمانيون بأية محاولة جديدة كبيرة بعد فشل سيدي علي رئيس، أما البرتغاليون فقد ضمت بلادهم إلى إسبانيا سنة ٩٨٩هـ (١٥٨٠م) وأصبحت مملكتهم فريسة سهلة لأعداء إسبانيا. وكانت هولندا هي العدو الرئيسي لإسبانيا ثم تبعتها إنكلترا، واستطاع كلاهما أن ينتزع السيادة البحرية من إسبانيا والبرتغال، وفي عام ١٠٠٢هـ (١٥٩٣م) كان الهولنديون قد كوّنوا شركة الهند الشرقية الهولندية للتجارة، وبعد أعوام قليلة تبعهم الإنكليز سنة ١٠٠٩هـ (١٦٠٠م) فمنحوا شركة الهند الشرقية البريطانية أول امتياز لها[٢].

غير أن الوضع الحربي في الخليج العربي قد تغير منذ مطلع القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي)، فقد تحالف أمير البصرة مع البرتغاليين ضد الفرس، كما تحالف شاه فارس مع الإنكليز والهولنديين. واستطاع الشاه بمساعدة حلفائه الجدد أن ينتزع البحرين من البرتغاليين ويضغط على هرمز. وقد نجح البرتغاليون في الدفاع عن هرمز واحتلوا ميناء بندر عباس الإيراني عام ١٠٢١هـ (١٦٢١م). واستطاع الشاه بعد عامين أن يخرجهم من بندر عباس ثم منح الهولنديين قاعدة حربية فيها[٣].

وبدأت سفن شركة الهند الشرقية البريطانية تتردد على موانئ الخليج العربي والهند أوائل القرن الحادي عشر، وكانت ملكة بريطانيا قد منحت في

(١) عبد الكريم غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ص٢٦٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) Wilson. A:op. Cit. PP.140-141.

عام ١٠٠٩هـ (١٦٠٠م) امتيازاً بتأسيس شركة الهند الشرقية الإنكليزية كشركة متممة لشركة الليفانت (الشرق) التي سبقتها بعشرين عاماً. ونظمت شركة الهند الشرقية رحلات تجارية سنوية إلى الهند. وتمكن أسطول الشركة عام ١٠٢١هـ (١٦١٢م) من انتزاع امتيازات من حاكم (سورات) الهندي فأقر إمبراطور الهند المغولي هذه الامتيازات. وعينت الشركة بعد ثلاثة أعوام سفيراً إنجليزياً في بلاط امبراطور الهند المغولي[١].

وحاول الإنكليز كسب ود شاه فارس والتقرب إليه والتحالف معه ضد السلطان العثماني، فنجحوا في استمالته إلى جانبهم، وأرسلت بريطانيا إلى شاه فارس خبراء في السياسة والشؤون العسكرية لتدريب جيشه، كما زودت الجيش الفارسي بالأسلحة. واستطاع شاه فارس بهذه القوة العسكرية طرد العثمانيين من جميع الأراضي الفارسية عام ١٠١٤هـ (١٦٠٥م). ومقابل ذلك منح شاه فارس الإنكليز حق الاتجار مع بلاده عبر ميناء (جسك) ومنحهم امتيازاً بذلك عام ١٠٢٥هـ(١٦١٦م)[٢].

وقدمت أول مرة سفينة إنكليزية إلى ميناء (جسك) قادمة من سورات بالهند، وفشلت جهود البرتغاليين في التعرض للسفينة التي استطاعت أن تفرغ حمولتها وتبيعها بسهولة. وبعد أن تبين للتجار الإنكليز أن هذه التجارة مربحة، بادروا إلى فتح وكالة تجارية لهم في الميناء الإيراني رغم معارضة السفير الإنكليزي في دلهي. كما هزمت السفن الإنكليزية أسطولاً برتغالياً حاول اعتراض طريقها[٣].

(١) Wilson. A:op. Cit. PP.134-135.

(٢) Miles, S. B.: op. Cit. P.175.

(٣) Miles, S. B. Op. Cit. PP.187-188.

وعزم الشاه على الاستيلاء على هرمز بمعونة الإنكليز، وتمكن الحليفان من احتلال الحصن البرتغالي في (قشم) على الساحل الإيراني ١٠٣١هـ (١٦٢٢م). وبدأ الحلفاء هجومهم على (هرمز) واستسلمت بعد شهرين ووقع في الأسر ثلاثة آلاف برتغالي. وهكذا طويت صفحة برتغالية في (هرمز) التي ارتفع عليها علم البرتغال أكثر من قرن. وأصبحت (هرمز) جزيرة إيرانية. ولم يبق بيد البرتغاليين في الخليج سوى ساحل مسقط. وجه الشاه قواه بعد هذا النصر ضد بغداد فاحتلها في العام التالي. ولكنه فشل في احتلال البصرة وبقي أميرها موالياً للسلطان العثماني فقاوم الإيرانيين بمساعدة البرتغاليين[١].

لم يبق بيد البرتغاليين غير مراكزهم على ساحل عمان. فانتزعوا (صحار) وأبادوا حاميتها، ولكنهم خسروا بعد أربعة أعوام مركزهم قرب رأس الخيمة. وانتزع الإيرانيون فترة قصيرة حصون (صحار) و(خورفكان) وحاولوا احتلال مسقط نفسها، ولكن عاد البرتغاليون فاستعادوا حصونهم المفقودة وأخرجوا الإيرانيين منها وهددوا الموانئ والسفن الإيرانية في الخليج. وسمح لهم أمير البصرة بفتح وكالة تجارية برتغالية في البصرة عام ١٠٣١هـ (١٦٢٢م)، وغدت البصرة مركزاً برتغالياً مهماً[٢].

غير أن تطورات مهمة حدثت في عمان غيّرت استراتيجية الخليج العربي، فقد استتب الأمر في عمان للإمام الإباضي ناصر بن مرشد بن

(١) Wilson. A:op. Cit. PP. 143-149.

(٢) Miles, S. B.: op. Cit. PP.187-188.

سلطان عام ١٠٣٤هـ(١٦٢٥م)، وأخضع «الملوك» المحليين واستولى على الميناء العماني الوحيد الذي لم يكن بيد البرتغاليين وهو ميناء (لادة). وشرع الإمام ناصر بمهاجمة الحصون البرتغالية ففشل في احتلال (مسقط) ولكنه نجح في احتلال (صحار). وتابع الإمام سلطان بن سيف سياسة ابن عمه وسلفه في تطهير البلاد من البرتغاليين فحرر مسقط وهي آخر معقل للبرتغاليين، ولم يكتف بذلك بل قام بمهاجمة الحصون البرتغالية في الهند فقصد (ديو) وسواحل (الكجرات) وعاد بغنائم كبيرة[١].

أصبح العمانيون بعد نجاحهم في طرد البرتغاليين من الخليج العربي شرقي إفريقية قوة ذات خطر، كما أضحى أسطولهم الشراعي يسيطر على التجارة في المحيط الهندي، وساعدهم على ذلك أن سياسة الدول الأوربية التي خلَفت البرتغال في البحار الشرقية لم تكن قائمة على سياسة الاحتكار التجاري كما كانت سياسة البرتغاليين، وإنما انصرفت إلى تأسيس المستعمرات واستغلال الأهالي وتكوين الامبراطوريات. أما في التجارة فقد أفسحت المجال للعناصر التي كانت تعمل فيها من قديم لتعمل فيها من جديد، وإنما حرصوا في الوقت نفسه على تأمين المواصلات لإمبراطوريتهم الاستعمارية، وترتب على ذلك دخولهم في علاقات مع القوى المسيطرة على أهم القواعد في طريق هذه المواصلات كفارس وعمان والدولة العثمانية[٢].

(١) جمال زكريا قاسم: دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ص ٢١ وانظر كذلك نور الدين عبد الله السالمي: تحفة الأعيان بسيرة آل عمان، ج، ص١١، القاهرة ١٣٣٠هـ.

(٢) جمال زكريا: المصدر السابق، ص٢٥.

ومهما يكن من أمر، فإن دولة اليعاربة التي كان لها دور كبير في طرد البرتغاليين، سرعان ما أصابها الوهن والضعف، وتفشت فيها الفتن والثورات مما أضعفها وأدى إلى نهايتها لتقوم على أنقاضها دولة (البوسعيد) -بزعامة الإمام أحمد بن سعيد- الذين حكموا عمان منذ عام ١١٥٤هـ(١٧٤١م) حتى يومنا هذا.

حكم أسرة البوسعيديين:

نجح أحمد بن سعيد مؤسس تلك الأسرة في طرد الفرس من عمان ١١٥٧هـ(١٧٤٤م)، وبذلك أصبح الطريق ميسراً أمامه للوصول إلى الإمامة وبخاصة بعد النجاح الذي أحرزه على الفرس، الذين آثروا تركه يصرف شؤون البلاد على شرط تقديم الجزية لهم والاعتراف بسيادتهم على البلاد، على أن الظروف لم تلبث أن سنحت لأحمد بن سعيد ليعلن استقلاله عن الفرس منتهزاً حالة الفوضى والاضطرابات التي تردت فيه الدولة الفارسية عقب اغتيال نادر شاه في عام ١١٦٠هـ(١٧٤٧م)، وبذلك استطاع أن ينأى ببلاده عن كل تبعية، كما كان لتزعمه حركة التحرير العمانية ضد الفرس أثر كبير في عقد البيعة بالإمامة له[١]، وبنى السلطان الإمام أحمد أسطولاً حربياً قوياً فطهّر شواطئ (ملبار[٢]) من القراصنة، وأنجد البصرة من الفرس عام ١١٨٨هـ(١٧٧٤م)، ولكنه فشل في القضاء على حكم اليعاربة في بعض المناطق (الحزم والنخل)، كما بقيت بلاد الظاهرة

(١) نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة آل عمان، ج، ص١٢٦، القاهرة (١٣٣٠هـ).

(٢) شواطئ الهند الغربية.

وواحة البريمي وساحل عمان الشمالي الغربي بيد بني غافر القيسيين العدنانيين[١].

اشتهر أحمد بن سعيد بإدارته الحازمة، فعند وصوله إلى السلطة قام بوضع كثير من القوانين لإدارة جهاز حكومته، مهتماً بصفة خاصة بإرساء القواعد الاقتصادية والقضائية والإدارية خاصة. ومع ذلك اضطرت الظروف الإمام أحمد إلى تكوين حكومته على شكل غير مركزي حينما ترك اليعاربة والغافريين يمارسون سلطتهم على بعض مقاطعات البلاد على الرغم من الجهود التي بذلها، لكي ينتزعها من سيطرتهم ويضمها إلى حكمه. والذي يؤخذ على الإمام أحمد إشراكه أبناءه معه في الحكم، فقد كانت العواقب وخيمة في حياته، وكان كثيراً ما يضطر إلى التدخل ليحمي أبناءه من هجوم بعضهم على بعض، بل إنه كان يضطر أحياناً إلى حماية نفسه من هجوم أبنائه عليه. وهكذا ورثت أسرة بوسعيد التنازع الأسري والاضطراب الداخلي[٢].

وقد حدثت فتنة أواخر عهد الإمام أحمد بوسعيد وبعد وفاته، فقد ثار عليه ولداه سيف وسلطان كما ذكرنا، واستطاع أحمد أن ينهي هذه الفتنة بصورة سلمية. وبايع الناس بعده ابنه سعيداً ولكن ابنه حمداً ثار عليه، وبدأت الاضطرابات في البلاد فخرج على حمد عمه سيف الذي فشلت ثورته ففر إلى زنجبار، وتولى حمد فحاول أبوه سعيد أن يستعيد السيطرة الفعلية إلا أن أخاه سلطان بن أحمد استولى على الحكم واستبد بالأمر[٣].

---

(١) عبد الكريم غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ص٢٦٩.

(٢) جمال زكريا، مصدر سابق، ص٤٢.

(٣) Miles S.B. Op. Cit. Pp.279-285.

توصل سلطان بن أحمد إلى الحكم ١٢٠٧هـ (١٧٩٢م) فوجد عمان بلداً مجزءاً ومهدداً، فقد استقل إمام عمان في داخل البلاد متخذاً (رستاق) عاصمة له، وانفصل بنو غافر في البريمي والظاهرة، واستقر القواسم في رأس الخيمة والسواحل القريبة، ولم يبق بيد سلطان مسقط سوى ساحل الباطنة، ولم يمض زمن قصير على ولاية سلطان حتى كان إبراهيم بن سليمان بن عفيصان قد استقر في البريمي لنشر الدعوة الوهابية. وفرض الوهابيون معاهدة ولاء على القواسم عام ١٢١٤هـ (١٧٩٩م) وسيطروا على (الزبارة). وفشلت محاولات سلطان بن أحمد لصدهم، ولم يستطع الحصول على مساعدة شريف مكة. وألحق الوهابيون به هزيمة كبيرة وكادوا يحتلون مسقط نفسها لو لا وصول أنباء وفاة الأمير عبد العزيز[١].

ولكن سلطان نجح في مشروعاته الخارجية، فقد احتل (بندر عباس) و(هرمز) وبعض الموانئ في (مكران) على الساحل الفارسي، وعقد سلطان معاهدة مع بريطانيا عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) تعهد بموجبها بعدم التعامل مع فرنسا والسماح بإقامة وكالة بريطانية، وحامية عسكرية في ميناء بندر عباس الإيراني التابع لإمام مسقط. ووصل إلى مسقط في العام التالي مندوب بريطاني استطاع أن يقنعه بقبول ممثل بريطاني في مسقط. عادت علاقات الإمام بفرنسا ودية بعد جلاء الفرنسيين عن مصر عام ١٢١٦[٢].

وقتل سلطان في طريق عودته إلى مسقط على يد القواسم في ١٣ من شعبان ١٢١٩هـ فنشبت فتنة بين ولديه سالم وسعيد وعمه سعيد الذي بقي

---

(١) Wilson, A. Op. Cit. Pp. 231-233.

(٢) ج. ج. لوريمر: دليل الخليج ج، قطر ١٩٧٥، ص ٦٦١-٦٧٠.

إماماً رمزياً في (رستاق) واستنجد ولداه بشاه إيران ضد الوهابيين، ولكن الحملة الإيرانية فشلت في إبعاد الخطر الوهابي. وسيطر على الأمور - بمساعدة الوهابيين- بدر بن سيف الذي حكم باسم سعيد بن سلطان، إلا أن سعيداً اغتاله ثم تسلم الحكم بعد ذلك عام ١٢٢١هـ (١٨٠٦م) عمه قيس بن أحمد بن سعيد حاكم (صحار) للاستيلاء على الحكم[١].

حكم سعيد بن سلطان ساحل عمان قرابة نصف قرن ١٢٢١-١٢٧٢هـ (١٨٠٦-١٨٥٩م)، واستطاع في أوائل عهده أن يستعيد ممتلكاته الإفريقية التي شغلته عن كثير من الأمور المهمة في بلاده. وتعرض لخطر سعودي شديد فألحق به السعوديون هزائم متعددة، فاشترك في حلف مع الإنكليز ضد رأس الخيمة، كما شارك في الحملات التي أرسلها الإنكليز لإخضاع رأس الخيمة والتي أدت إلى خضوع هذه الإمارات والمشيخات للإنكليز وإجبارها على توقيع ١٢٣٥هـ (١٨٢٠م) وعقد مع الإنكليز عام ١٢٥٥هـ(١٨٤٠م) معاهدة تجارية، كما وقع معهم اتفاقيات لمكافحة تجارة الرقيق، ومنح الإنكليز إعفاءات جمركية واسعة، وتوثقت علاقاته مع بريطانيا فأهداها جزر (كوريا موريا). ولكن بريطانيا لم تقدِّر له صداقته حينما وقفت موقفاً عدائياً لعمان إبان النزاع بين عمان وإيران. فقد احتلت إيران المراكز العمانية في (بندر عباس) وساحل (كرمان). وفي العام نفسه الذي تخلى فيه السلطان عن جزر (كوريا موريا) لبريطانيا. استطاع السلطان أن يستعيد ممتلكاته الإيرانية إلا أن الشاه أرسل حملة أخرى فاحتلها، وتدخلت بريطانيا

(١) المصدر السابق ص٦٨٤-٦٨٩ .

لتمنع السلطان من استعادتها، ولتفرض معاهدة إيرانية عمانية ١٢٧٢هـ (١٨٥٩م). تخلى السلطان بموجبها عن ممتلكاته الإيرانية. وما لبث سعيد أن توفي حزيناً بعد نصف عام[١].

ونشبت فتنة بين أولاده ماجد وتركي وثويني. وتدخل الإنكليز فقسموا الدولة بين ماجد وثويني عام ١٢٧٧هـ (١٨٦٤م). ونال ماجد الممتلكات الإفريقية زنجبار ومباسا مقابل تعهده بدفع تعويض سنوي لسلطان مسقط. أما تركي فقد اعتصم في المناطق الجنوبية ورفض الاعتراف بسيادة أخيه الأكبر ثويني، الذي حكم البلاد عشر سنوات كانت مليئة بالاضطرابات مما اضطره إلى أن يستنجد بالسعوديين الذين أنجدوه، ولكنهم فرضوا عليه دفع إتاوة سنوية. وكثر عليه الثوار فأنجده الإنكليز وأمدوه بالمدافع والعتاد وشجعوه على غزو البريمي. وكافأ ثويني الإنكليز بمنحهم حقوق مدِّ خطوط هاتفية، وفشل ثويني في الاستفادة من الاتفاقية البريطانية الفرنسية الموقعة عام ١٢٧٨هـ (١٨٦٥م) والتي اعترف فيها الطرفان باستقلال سلطنتي مسقط وزنجبار[٢].

وانتهت حياة ثويني نهاية مفجعة، فقد تآمر ضده ابنه سالم واغتاله، واعتقل عمه تركي بن سعيد. واعترفت بريطانيا بسلطنة سالم ولكن أهل عمان لم يعترفوا به، وثاروا عليه بزعامة عزان بن قيس. كذلك أفلت تركي من سجنه واحتل (صحار)، وكاد يدخل مسقط لولا تدخل الإنكليز الذين اعتقلوه ونفوه إلى الهند. وكثرت الثورات على سالم ففر إلى الرياض طالباً

(١) عبد الكريم غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ص ٢٧٠-٢٧١.
(٢) جمال زكريا قاسم، مصدر سابق، ص٢٥٥-٢٦٨.

المساعدة السعودية بعد أن تخلى عنه الإنكليز، وبايع أهل عمان عزان بن قيس إماماً، واحتل عزان واحة البريمي بالاشتراك مع حاكم أبو ظبي وشيخ بني عامر، واختلف عزان مع حلفائه الذين هزموه، وعاد أثناء ذلك تركي بن سعيد من الهند فتغلب على عزّان، وقتله وأعلن نفسه سلطاناً سنة ١٢٨٨-١٣٠٥هـ (١٨٧٠-١٨٨٧م). أما البريمي فقد احتلها حاكم الشارقة وأعادها للوهابيين. وازداد النفوذ البريطاني في عهد تركي وابنه فيصل فقد عقد تركي معاهدة مع بريطانيا لمكافحة تجارة الرقيق عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٢م). واعترف بالقنصل البريطاني قاضياً يفصل في الخصومات بين الرعايا البريطانيين كما سمح للقنصل بحرس بريطاني. وتعهد تركي بألا يتنازل عن أي جزء من ممتلكاته وألا يفرض قيوداً على التجارة إلا بموافقة بريطانية. ومع ذلكً لم يقدم الإنكليز له أية مساعدة عندما ثارت عليه القبائل عام ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) ولم يتدخلوا إلا بعد نجاحه في إخماد الثورة إذ قدمت له حكومة الهند كمية من الأسلحة والذخيرة[١].

وكان تركي قد سمح للفرنسيين بفتح قنصلية وأعطى مثل هذا الحق للولايات المتحدة الأمريكية، وازداد فيصل تقرباً من الفرنسيين، فمنحهم حق إقامة مركز تموين للفحم، ولكن بريطانيا أجبرته على إلغاء هذا الامتياز. وخلف فيصلاً ابنه تيمور الذي حكم البلاد ثمانية عشر عاماً ١٣٣١-١٣٥٠هـ (١٩١٢-١٩٣٢م)، ثم تنازل عن السلطنة لابنه السلطان سعيد بن تيمور. وشغل تيمور وابنه سعيد بنزاع شديد مع سكان الداخل، فقد ثار سكان داخل عمان وانتخبوا سالم بن راشد الخروصي إماماً، وسيطر

(١) Wislon. A. Op. Cit. Pp.237-240.

سالم على معظم عمان باستثناء مسقط وبعض الموانئ التي أعلنت بريطانيا حمايتها لها منذ عام ١٣١٣هـ (١٨٩٥م).

واضطر السلطان تيمور إلى توقيع معاهدة (المسيب) مع الإمام الجديد محمد بن عبد الله الخليل عام ١٣٣٩هـ (١٩٢١م)، اعترف بموجبها باستقلال عمان. وهكذا انقسمت البلاد إلى قسمين:

١- إمامة عمان في الداخل.

٢- سلطنة مسقط على الساحل.

وكان لكل من هذين القسمين حكومة صورية وحدود وهمية. غير أن السلطان نقض المعاهدة بإيعاز من بريطانيا، وأرسل حملة عسكرية بقيادة ضابط بريطاني فاحتلت (نزوى) عاصمة إمامة عمان في ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م)[١] ثم أصبحت البلاد موحدة تحت حكم السلطان سعيد بن تيمور غير أن السلطان سعيداً لم يهتم بترقية أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، مما اضطر بعض المخلصين بالتعاون مع ولده قابوس إلى إبعاد السلطان سعيد عن الحكم واستيلاء ولده قابوس في عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م)، والذي أخذ يعمل بسرعة على ترقية أحوال البلاد في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي عهد السلطان قابوس الحالي دخلت سلطنة عمان الجامعة العربية وهيئة الأمم إثر استقلالها. وفي عهده كذلك تم القضاء على ثورة ظفار التي اندلعت قبل توليه السلطة بخمس سنوات[٢].

(١) زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، ص٧٤-٧٥.

(٢) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج، ص٣٦٢-٣٦٣.